مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٢: ١٤–٢٢)

يا إخوةُ إنَّ المسيحَ هو سلامُنا هو جعلَ الإثنينِ واحداً ونَقَضَ في جسدِه حائطَ السِّياجِ الحاجزَ أي العداوة* وأبطلَ ناموسَ الوصايا في فرائِضِه ليخلُقَ الإثنينِ في نفسِه إنساناً واحداً جديداً بإجرائه السلام* ويُصالح كليهما في جسدٍ واحدٍ معَ اللهِ في الصليبِ بقَتلِه العداوةَ في نفسِه* فجاءَ وبشَّركم بالسلامِ البعيدينَ منكم والقريبين* لأنَّ به لنا كلينا التوصُّل إلى الآبِ في روحٍ واحد* فلستُم غرباءَ بعدُ ونُزَلاءَ بل مواطِني القديسينَ وأهلَ بيتِ الله* وقد بُنيتم على أساسِ الرسلِ والأنبياءِ وحجرِ الزاويةِ هو يسوعُ المسيح نفسُهُ* الذي بهِ يُنسَقُ البُنيانُ كلُّهُ فينمو هيكلاً مقدَّساً في الربِّ* وفيهِ أنتم أيضاً تُبنونَ معاً مَسكِناً للهِ في الروح.

الحوار مع الله

في التاسع من شهر كانون الأول نحتفل بتذكار سيدة من اللواتي بَرَزنَ في العهد القديم، هي حنّة النبية زوجة ألقانة من قبيلة إفراييم، ووالدة صموئيل النبي. لا نعرف عن حنّة الكثير سوى أنّها رُزِقَت بوحيدها صموئيل بإنعام من الله، بعد عقم طويل وكانت قد تقدّمت في الأيام كثيراً. لعلّها لهذا السبب نذرته «للرب كل أيام حياته، ولا يعلو رأسه موسى»، على ما يروي سِفْرُ صموئيل الأول في مطلعه.

تذكار حنّة النبيّة لا بد أن يقودنا إلى الحديث عن ابنها صموئيل، وإن كان له تذكاره الخاص في العشرين من آب، سيّما وأن الرجل كان خاتمة زمن القضاة، إذ هو آخر قضاة إسرائيل، وفاتحة زمن الملوك، وهو من مسح بالزيت المقدّس الملكين الأولين، شاول وداود، أي كرّسهما. لا بدّ لنا من أن نشير هنا إلى أن تذكار حنّة النبيّة يتزامن مع تذكار حبل القديسة حنة بمريم والدة الإله، وهو أيضاً حبلٌ في الشيخوخة وبعد عقم طويل، والطفلة مريم هي أيضاً نُذرَت لله، وفي مطلع الإصحاح الثاني من سِفر صموئيل الأول ترنيمة للنبيّة حنّة تشبه كثيراً ما ترنّمت به العذراء القديسة إثر بشارتها بالحبل الإلهي (لو ١: ٤٦–٥٥).

أكثر من خمسمئة سنة قضاها العبرانيون، منذ دخلوا أرض الميعاد وحتى بدء رسالة صموئيل، قبائل متفرّقة بلا ملك موحِّد، ولا سلطة مركزية تسوسهم وتقضي بينهم. وكانوا كلما اشتدت عليهم الصعاب أو تفاقمت بينهم الخلافات، يرسل لهم الله قاضياً يقضي أمورهم، إلى أن حان في التدبير الإلهي أوان الملكية فكان عهد صموئيل. محور رسالة هذا النبي كان تهيئة مفهوم الملكية كعلامة مجد من الله، وتأمين الإنتقال من عهد القضاة إلى عهد الملوك. أما فرادته فهي تكمن في أنه يجمع بين القاضي والكاهن والنبي، وهو بالنسبة إلى عهد داود ما سيكون المعمدان بالنسبة إلى عهد المسيح. صموئيل هو الذي مسح بأمر من الله الملكين الأولين على إسرائيل، وقد فرزه الله لخدمته منذ ولادته تماماً

العدد ٢٠١٣/٤٩

الأحد ٨ كانون الأول

تذكار أبينا البار بتابيوس

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الثاني

الإنجيل

(لوقا ١٣: ١٠-١٧)

في ذلك الزمان كان يسوعُ يعلّمُ في أحدِ المجامعِ يومَ السبتِ* وإذا بامرأةٍ بها روحُ مرضٍ منذ ثماني عَشْرَةَ سنةً وكانت منحنيةً لا تستطيعُ أن تنتصبَ البتَّةَ* فلمَّا رآها يسوعُ دعاها وقال لها إنَّكِ مُطْلَقَةٌ من مرضِكِ* ووضع يدَيْهِ عليها وفي الحال استقامَتْ ومجَّدتِ اللهَ* فأجابَ رئيسُ المجمعِ وهو مغتاظٌ لإبراءِ يسوعَ في السبتِ وقال للجمعِ هي ستَّةُ أيَّامٍ ينبغي العملُ فيها. ففيها تأتون وتَستَشْفون لا في يوم السبت* فأجابَ الربُّ وقال يا مُرائي أليس كلُّ واحدٍ منكم يَحُلُّ ثورَهُ أو حمارَهُ في السبتِ مِنَ المذوَدِ وينطلِقُ به فيسقيه* وهذه وهي ابنةُ إبرهيمَ التي ربَطها الشيطانُ منذ ثماني عَشْرَةَ سنةً أمَا ينبغي أن تُطلَقَ من هذا الرباطِ يومَ السبت* ولمَّا قال هذا خَزِيَ كلُّ مَن كان يُقاومه وفرح الجمع بجميعِ الأمور المجيدةِ التي كانت تصدرُ منه.

كما حدث للمعمدان.

مميزات شخصية صموئيل ورسالته كثيرة ولا مجال هنا للخوض بها تفصيلاً. لكننا سوف نتوقّف عند عبارة «تكلم يا رب لأن عبدك سامع»، التي بادر بها صموئيل الرب يوم دعاه للخدمة، وهو كان بعد صبياً (١ صم ٣: ١٠). إن في كلمة «سامع»، في هذه الآية موقفاً مزدوجاً من النبي إزاء الله: موقف اقتبال الكلمة الآتية على أنها كلمة الله والطاعة لها، وموقف الوعد المسبق بالعمل بها. هذه الـ«سامع» إذاً لا يُراد بها وظيفة السمع التي تؤديها الأذن، أي حاسة التقاط الأصوات. هذه يتمتع بها الحيوان أيضاً، وقد يفقدها الإنسان بفعل مرض أو حادث أو غيره. كلمة «سامع» هنا يراد بها السماع أي الإصغاء، الاستعداد الإرادي لتلقّي الكلمة وبالتالي الانفتاح على اقتبالها وفهمها والعمل بها. قبل أن يتلو الإنجيل على المؤمنين يقول الكاهن «من أجل أن نكون مستحقين لسماع الإنجيل المقدس...». في هذه الطلبة نلتمس من الله تعالى أن يفتح آذان قلوبنا وعقولنا علّنا إن «سمعنا» نفهم ونطيع بإيمان فنقتبل بشائر النعمة، على ما يقول الرسول بولس (رو ١: ٥). المؤمن يرفع بهذه الطلبة قلبه إلى الله، لأنّه يعرف يقيناً أن في الكلام الذي سوف يُتلى على الجماعة كلها، كلاماً يخاطبه الله به شخصياً. متى التمست أن تُعطى لك نعمة هذا الـ«سماع»، فأنت تلتمس هذا الحوار الشخصي الحميم الذي لك مع الله.

فترة التواصل مع الله، الإستماع إلى الله، واحدة من الخصائص التي فقدها الإنسان بالسقوط. ومَن لا يسعى إلى استعادتها يكون كالأصم إرادياً عن نداءات الله إليه: «إن كلمة الرب صارت لهم عاراً لا يسرّون بها» يقول الله بإرميا النبي (٦: ١٠). ربّنا يسوع نفسه غالباً ما نادى على شعبه بالسماع وهو يعلّم، و«مَن كانت له أذنان للسمع فليسمع» لم يقصد بها الرب أذني الجسد قطعاً. لكننا غالباً ما لا نطيق، أو في أفضل الأحوال نتجنّب، سماع كلامه، فكلامه غالباً ما يتعارض وشهواتنا، أو يخالف رؤيتنا الشخصية للأمور. ولكن، «إذا كنتم لا تسمعون فلأنكم لستم من الله» (يو ٨: ٤٧). عمق مأساتنا إذاً أن في الإستغناء عن حكمة الله والإكتفاء بضلال ومحدودية حكمة هذا العالم، استغناء عن خلاص الله...

الإنسان متى صلّى يطلب، بل يتوقّع، أن يسمعه الله، أي أن يستجيب له، وهذا حق فهو من نعمة الرجاء. لكن كيف ينتظر مَن يصمّ آذانه عن نداء الله وإرشاده أن يكون بينه وبين الله حوار؟ في إيماننا أن الله يستجيب للذين يتقونه ويلتمسون حكمته ومشيئته (مز ٢٤: ١٤). وهذا هو عموماً موقف كل مؤمن إزاء كلمة الله، بمعنى أن المؤمن في كل لحظة يقول «تكلّم يا رب فإن عبدك سامع» إذ هو يشتهي، في كل لحظة، أن يكون له، مع الله، حوار.

تأمل

«ويصالح الإثنين في جسد واحد مع الله بالصليب بقتله العداوة في نفسه» (أف ٢: ١٦).

إن موت الرب على الصليب قد أمات العداوة لا بأمر خارجي بل بآلامه. لم يقل حلّ العداوة بل «قتل» العداوة حتى لا تقوم من بعد. ولكن هذه العداوة أي الخطيئة كيف تقوم من جديد؟ هذا يحصل من جرّاء شرورنا الكثيرة. طالما نحن في جسد المسيح أي في الكنيسة لا تقوم العداوة بل تكون مائتة أو بالحري لن تقوم أبداً. لأن ما يحصل عندما نخطئ هو قيام عداوة جديدة نحن نخترعها. «لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله» (رو ٨: ٧). إن كنّا لا نفكّر أبداً جسدياً لن تقوم أية عداوة جديدة بل يظلّ السلام مخيّماً دائماً بيننا وبين الله وفيما بيننا أيضاً.

«فجاء وبشّركم بالسلام البعيدينَ منكم والقريبين لأنّ به لنا كلينا التوصُّل إلى الآب في روح واحدٍ» (أف ٢: ١٧–١٨).

لم يُرسل آخر للبشارة بل جاء هو نفسه. لم يرسل ملاكاً ولا رئيس ملائكة ليصالح الشرور ويبشّر بما حصل بل فعل كلّ ذلك بحضوره الشخصي. اقتبل أن يتنازل إلى حالة خادم وحتى عبدٍ.

«القريبون» هم اليهود

القديس اسبيريدون

تعيّد كنيستنا المقدّسة في الثاني عشر من شهر كانون الأول للقديس اسبيريدون أسقف تريميثوس. إذا أصغينا إلى الصلوات التي تُتلى على مسامعنا في غروب عيده وسَحَرِهِ نتعرَّف إلى قديس لطيف في طبعه ومتواضع، كما نتعرّف على بعض الآيات التي صنعها. فمَن هو هذا القديس الذي كثيراً ما نذكره في صلواتنا؟

بما أنّ القديس اسبيريدون لم يترك أعمالاً مكتوبةً ولا حتى رسائل من الممكن أن تحتوي على ما يخبرنا عن حياته، فإنّ ما نعرفه عنه هو مستقىً من الكتابات الكنسيّة لسِيَر القديسين ومن الصلوات التي كُتِبت لتقريظه وطلب شفاعاته.

وُلِد القديس اسبيريدون في جزيرة قبرص، إلاّ أننا لا نعرف سنة مولده، لكن باعتبار أنّه كان أسقفاً عند انعقاد المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥ في مدينة نيقيا يمكننا القول إنّه وُلِدَ في أواخر القرن الميلادي الثالث. كان والداه بسيطين وتقيَّين وقد ربَّياه على التواضع ومحبّة الله. في شبابه، عَمِلَ قدّيسنا كراعٍ للخراف، وحتى بعدما أصبح أسقفاً لم يترك عمله هذا. لم يكن شاباً طموحاً أو ساعياً نحو المناصب العليا، بل كان راضياً بحياته القروية المليئة بالعمل والصلاة. فالترانيم المرتّلة في عيده تشبّهه بعددٍ من شخصيّات العهد القديم، إذ كان راعياً مثل داود، متواضع القلب مثل يعقوب، مضيافاً مثل إبرهيم، حاوياً في نفسه براءةَ أيُّوب وطيبة إبرهيم: «أيها الراعي البار، إنّ الخالق قد انتخبك من الرعاية مثل داود، وجعلك راعياً كليّ الفضل للرعيّة الناطقة، متلألئاً بالبساطة والوداعة ومتزيّناً بالصلاح» (من الأودية الأولى لقانون السَحَر).

هناك عدّة آراء حول ما إذا كان القديس اسبيريدون متزوجاً أو لا، وحتى المصادر التي تتكلّم عليه كمتزوِّج لا تذكر اسم زوجته، كما نجد فيها ذكراً أنّه ترمَّلَ وأنّه كان لديه عدّة أبناء. يجب ألاّ نتفاجأ من أنّه كان أسقفاً متزوِّجاً كون قانون بتوليّة الأساقفة قد أُقر بعد تلك الفترة بسنوات.

لم تخفَ أعماله الحسنة إذ ظهرت كنور السراج الذي لا يمكن إخفاؤه تحت المكيال، فاستُدعيَ ليكون أسقفاً على مدينة «تريميثوس» بالقرب من «سالاميس» في قبرص وذلك في بدايات القرن الميلادي الرابع. خلال سنوات أسقفيَّته، قام القديس بعدّة آيات، كشفاء المرضى وطرد أرواح شريرة من أناس كانت تعذّبهم، إضافةً إلى كونه كان معلّماً وراعياً أميناً لقطيع المسيح مغذّياً إيَّاهم بالكلمة الإلهية.

خلال سنواته الأولى في سدّة الأسقفيّة، ضَربَ قحطٌ عظيمٌ جزيرة قبرص، الأمر الذي أدّى إلى تلف المزروعات واقتراب المجاعة والموت. كان الشعب يقول إنّهم بحاجة إلى شخص تكون فاعليّة صلاته كفاعليّة صلاة النبيّ إيليا الذي فتح السموات وجعلها تُمطِر. خلال هذه المحنة ظهرت فاعليّة صلاة القديس اسبيريدون الذي رأى آلام شعبه فصلّى إلى الرب مستعطفاً إيّاه، فما كان إلاّ أن اكفهرّت السماء بالغيوم وانهمر المطر لعدّة أيّام فانتعشت الأرض وأعطت ثمارها التي أشبعت الشعب الذي أُنقِذَ بصلوات راعيه.

قام القديس بعدّة آياتٍ أخرى منها ما يختصّ بمجاعةٍ ثانية

«والسلام» يقوله نسبة إلى الله الذي صالحنا معه هو الذي يقول: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم» (يو ١٤: ٢٧) و«ثقوا فقد غلبتُ العالم» (يو ١٦: ٣٣)... كلّ ذلك دلائل على السلام. وبالإضافة إلى كلّ ذلك يأتي السلام بأية طريقة؟ «لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحدٍ إلى الآب. كلينا» أي لليهود والوثنيين على السواء. هنا «في» مستخدمة بمعنى «بواسطة» الروح القدس.

«فلستم غرباءَ بعدُ ونُزَلاء بل مواطني القديسين وأهل بيت الله» (أف ٢: ١٩).

أرأيت كيف أظهرنا مواطنين ليس فقط مع اليهود بل وأيضاً مع القديسين، مع أولئك الرجال الكبار الذين حول إبرهيم، موسى وإيليا. لقد اكتتبنا في ذلك الوطن وسوف نظهر فيه لأنه يقول: «الذين يقولون مثل هذا يُظهرون أنهم يطلبون وطناً» (عبر ١١: ١٤). لم نعد غرباء عن القديسين ولا نزلاء لأن النزلاء هم الذين لا ينبغي أن يدركوا السموات.

«وأهل بيت الله» هذا الذي اكتسبه أولئك بأتعاب كثيرة نناله نحن بنعمة الله. هذا هو رجاء الدعوة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ضربت الجزيرة، وإقامة الموتى، وتحويل الأفاعي إلى ذهب لإنقاذ فلاح فقير من الجوع... لم يسلم القديس اسبيريدون من الاضطهاد، إذ كُتِبَ أنّ إحدى عينيه قُلِعَت وانتُزِع عضل ساقه اليسرى. في ذلك الوقت انتشرت الهرطقة الآريوسيّة القائلة بأنّ الإبن هو خليقة الآب وهو غير مساوٍ له في الجوهر؛ هذا الأمر استدعى انعقاد المجمع الأوّل في نيقيا عام ٣٢٥ م. حيث دعا الإمبراطور قسطنطين الكبير كلّ الأساقفة وقادة الكنيسة للإجتماع، فكان هذا المجمع شهادةً حيّة لِمَا عانته الكنيسة من اضطهادات، حيث أتى القديس اسبيريدون وسواه من الأساقفة حاملين جراحهم وآثار الاضطهاد على أجسادهم ليشاركوا، وقد كان للقديس اسبيريدون دورٌ بالغ الأهميّة في دحض الآريوسيّة وذلك من خلال مناظرته مع أحد الفلاسفة مناصري آريوس وإقناعه بمساواة الثالوث في الجوهر وردِّه هو وغيره من الفلاسفة إلى الإيمان القويم.

عند عودته إلى جزيرته بعد اختتام المجمع، عاود القديس رعاية قطيعه مجترحاً المزيد من العجائب أبرزها أنّه جعل ابنته الميتة «إيريني» تتكلّم لتخبره أين وضعت جرّة الذهب التي ائتمنتها عليها إحدى النساء، إضافةً إلى شفاء الإمبراطور وغير ذلك من الأعمال التي كان هدفها مجد الله وليس مجد الأسقف الشخصي.

رقد القديس بالرب عام ٣٤٧ م. ودُفِنَ في كنيسة الرسل القديسين في تريميثوس، غير تاركٍ رعيّته حتى بعد رقاده. شفاعاته تحفظنا، آمين.

الغضب

صبي صغير كان ذا طبع حاد، والده كان رجلاً محبًّا للرب وأراد أن يهذِّب طباع ابنه فأعطاه كيساً من المسامير ومطرقة وطلب منه أن يدق مسماراً في السور المحيط بالمنزل في كل مرة يفقد أعصابه ويغضب. في اليوم الأول دق الصبي ٣٧ مسماراً في الحائط. في الأيام التالية تعلّم الصبي التحكّم بغضبه، وانخفض تدريجياً عدد المسامير التي يدقها في السور يومياً لأنه اكتشف أن المحافظة على أعصابه أسهل من دق المسامير في السور.

في النهاية أتى يوم لم يدق فيه أي مسمار ولم يغضب مرة واحدة. أخبر الصبي أباه بالأمر فاقترح والده عليه أن يسحب مسماراً من السور في كل يوم لا يغضب فيه.

مرّت الأيام وأخبر الصبي والده أنه استطاع أن ينزع كل المسامير من السور. فأخذ الأب ابنه إلى السور وقال له: لقد أحسنت العمل يا بني، ولكن انظر إلى الثقوب الموجودة في السور. السور لم يعد كما كان. عندما تلفظ كلمات وأنت في حالة غضب، هذه الكلمات تترك ندوباً مثل هذه الثقوب. قد يطعن الإنسان أخاه بسكين ويسحبها من جسده ويعتذر منه مرات عديدة لكن الجرح سيبقى. لذا الجراح التي تسبّبها الكلمات تترك ندوباً لا تمحى.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb